انثروبولوجيا الكتب في الأحساء

"أنثروبولوجيا الكتب" في الأحساء يذهب إلى ما هو أبعد من محتوى الصفحات؛ إنه يدرس "الكتاب" ككائن ثقافي، وعلاقة المجتمع الأحسائي بالتدوين، وكيف تحولت الكتب إلى رموز للهوية والانتماء داخل الواحة وما حولها.

إليك هذا التحليل الأنثروبولوجي لثقافة الكتاب في الأحساء:

1. الكتاب كـ "وثيقة استدامة" للواحة

في الأنثروبولوجيا، يُنظر للتدوين كوسيلة لمواجهة الفناء. في الأحساء، استُثمر الكتاب لتوثيق "النظم الهيدروليكية" و**"الأنساب"**:

مخطوطات الري: لم تكن الكتب مجرد أدب، بل كانت تضم قوانين "توزيع المياه" وحقوق المزارع، مما جعل الكتاب أداة تنظيمية للحياة اليومية وضماناً للعدالة الاجتماعية.

كتب الرحلات (أدب الشاهد): كما في كتابي حول "عشرون يوماً في كيب تاون"، يُعتبر الكتاب هنا "شاهد عيان" ينقل ثقافة الواحة للخارج ويجلب معارف الخارج للداخل، مما يخلق تراكماً معرفياً يجعل من الأحسائي "مواطناً عالمياً" بجذور نخلة.

2. سوسيولوجيا "المكتبة الخاصة"

تعد المكتبات المنزلية في الأحساء (مثل مكتبات الأسر العلمية في الفوارس والرقيات) ظاهرة أنثروبولوجية فريدة:

الكتاب كإرث عائلي: الكتاب في الأحساء لا يُقرأ ويُرمى، بل يُورث كجزء من "الناموس" العائلي. وجود المكتبة داخل البيت الأحسائي هو إعلان عن "المنزلة الاجتماعية" والقيمة المعرفية للأسرة.

المجالس والكتب: كان الكتاب هو "محرك" الحوار في المجالس. استثمار الوقت في قراءة كتاب جماعياً (كما كان يحدث في الأربطة العلمية) حوّل الكتاب من تجربة فردية إلى تجربة اجتماعية تعزز الروابط بين النخب والمجتمع.

3. الكتاب كـ "مشهد ثقافي متطور" (منظور اليونسكو)

من منظور اليونسكو، تعكس "حركة التأليف" في الأحساء تطور المشهد الثقافي:

التوثيق الأنثروبولوجي للثقافة غير المادية: الكتب التي توثق "الباعة المتجولين" أو "الحكايات الشعبية" (مثل سلسلة الثقافة الشعبية غير المادية في الأحساء) أحد أبرز مؤلفاتي هي في الواقع عملية "تجميد للزمن". الكتاب هنا يحمي الذاكرة من الذوبان في عصر العولمة.

فعل التأليف كفعل مقاومة: الكتابة عن "تاريخ موازٍ" للأحساء هي محاولة أنثروبولوجية لإعادة الاعتبار للمهمشين والقصص المنسية، مما يجعل الكتاب أداة "إنصاف ثقافي".

4. مادية الكتاب (Physicality)

الأنثروبولوجيا تهتم بـ "جسد" الكتاب:

الخط والورق والتجليد: تاريخياً، استثمر الأحسائيون في فنون الخط والورق المستورد من الرحلات التجارية، مما يعكس ذوقاً فنياً مرتبطاً بموقع الأحساء كمفترق طرق تجاري.

الكتاب في عصر الرقمنة: التحول من المخطوط إلى الكتاب المطبوع ثم الرقمي في الأحساء لم يلغِ "قدسية الكتاب"، بل وسّع من دائرة تأثير "الذكاء الأحسائي" ليتجاوز حدود الواحة الجغرافية.

خلاصة أنثروبولوجية

الكتاب في الأحساء هو "النخلة المعرفية". كما أن النخلة تعطي الرطب، فإن الكتاب يعطي "الهوية"

ويحفظ "الزمن". استثمار الأدب أنثروبولوجياً يعني التعامل مع كل كتاب أحسائي كـ "طبقة جيولوجية" تكشف كيف فكر، وتواصل، واستمر الإنسان في هذه الواحة العظيمة وهندسة ثقافية متجددة ومتطورة حسب اعتراف اليونسكو.